

الدلالة النحوية لحروف المعاني - حرف الباء أنموذجا-

The grammatical significance of the Letters of Meaning

- The Letter -alba'i- is a Model

حداد لخضر

بوصلاحي ميلود*

مخبر الشريعة

جامعة الجزائر 1

جامعة الجزائر 1

haddadlakhedar@gmail.comMiloudbouslahi25@gmail.com

تاريخ القبول: 2025-12-21

تاريخ الإرسال: 2025-11-17

ملخص:

حرف الباء ليس مجرد أداة نحوية، بل نظام دلالي مفتوح يتفاعل مع المستوى الصرفي عبر ثبات بنيته، ومع المستوى النحوي عبر تعدد وظائفه، و مع المستوى التداولي من خلال تفاعله مع سياقات الخطاب، إضافة إلى المستوى الشرعي الذي يتجسد في صورة تأثير حرف الباء فيما يخص استنباط الأحكام.

ولقد تضمنت هذه الدراسة تحليلا متعمقا لدور حرف الباء في اللغة العربية، ليس بوصفه أداة نحوية فحسب، بل كعنصر دلالي مرّن يتكيف مع المستويات السالف ذكرها، ليتم التوصل في الأخير إلى نتيجة مفادها أن حرف الباء يشكل نموذجا للتداخل بين المستويات اللغوية المختلفة، مما يجعله مفتاحاً لفهم عديد الظواهر النحوية والدلالية والتداولية، فضلا عن دوره في استيعاب النصوص الشرعية واستخراج الأحكام منها.

كلمات مفتاحية: دلالة نحوية؛ حرف الباء؛ حروف المعاني في الفقه؛ الجرّ؛ حروف المباني؛

السياق

Abstract:

Towards an integrative model, the letter B is not just a grammatical tool, but an open semantic system that interacts with the morphological level: through the stability of its structure, a grammatical level through its multiple functions, and a deliberative level through its interaction with the contexts of discourse in addition to the legal level, which is embodied in the form of the ether of the letter B. A trend regarding the derivation of rulings.

*- المؤلف المراسل.

This study included an in-depth analysis of the role of the letter Ba in the Arabic language, not only as a grammatical tool, but also as a flexible semantic element that adapts to the aforementioned levels, to finally reach the conclusion that the letter Ba constitutes a model of overlap between different linguistic levels, making it key to understanding many grammatical, semantic, and deliberative phenomena, as well as its role in absorbing legal texts and extracting rulings from them.

Keywords: The letter Ba; the letters of meanings in jurisprudence; the preposition; the letters of buildings; the linguistic context.

مقدمة:

تعد حروف المعاني من الركائز الدلالية الأصلية في فهم الخطاب العربي، خاصة في مجال النصوص الشرعية التي تتطلب فهماً دقيقاً لمقاصدها وأحكامها. فهذه الحروف تحمل أعباءً دلالية متسعة، تُحدّد المعنى وتوجهه، وتؤثر تأثيراً مباشراً في عملية الاستنباط الفقهي والتفسيري.

ومن هنا، تنبع أهمية دراسة هذه الحروف وتحليل وظائفها السياقية؛ لفكّ علل النصوص واستجلاء مراميها، مع مشقة في ذلك¹. تعنى بدراسة الوحدات مفصلة تارة بموقعها وتارة بالكشف عن معانيها ثم الجمع بينهما واستخراج الفروق التي يقتضيها السياق أو الوضع بالأصل.

وبالتالي يعد حرف الباء واحداً من أبرز حروف المعاني ثراءً وتنوعاً في الدلالات، مما يجعله نموذجاً ممتازاً لدراسة أثر هذه الحروف في تشكيل المعنى، فحرف الجر الصغير هذا لا يقتصر على معنى واحد جامد، بل تتعدد استعمالاته بحسب السياق. وانطلاقاً من كل ذلك، فإن أهداف هذه الدراسة تتمحور حول :

- تسليط الضوء على الدور المحوري لحروف المعاني في تشكيل دلالة النص الشرعي.
- تحليل حرف الباء نموذجاً تطبيقياً، ببيان معانيه المتعددة وتأثير كل معنى على الفهم

¹ محمد عبد الخالق عضيمة (ت 1404 هـ)، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، مصر، 2019، ص 5.

- رصد الأثر الفقهي والاستدلالي المترتب على اختلاف دلالات الحرف في النصوص الشرعية.

وستعتمد الدراسة على تتبع استعمالات حرف الباء في آيات الوضوء، وتحليل السياقات المختلفة، وبيان كيف يغير فهم دلالة الحرف المستخدمة من معنى النص²، ومن ثم حكمه المستنبط، مما يجعل دراسة هذا الحرف - وغير من حروف المعاني - مدخلا أساسيا لضبط الفهم، وتجنب الخطأ في تفسير النصوص الشرعية واستنباط الأحكام منها.

كما أن هدف هذا المقال هو دراسة حرف الباء وأنواع استخدامه وأثره في اللغة العربية والفقه، وكيفية استخدامه في توضيح المعاني والإشارة إلى الاختيار والتفريق بين الأمور، وكيفية تأثيرها في فهم النصوص الشرعية واستدلال الأحكام الشرعية منها³.

ولقد تم اختيار المنهج الاستقرائي لجمع المعلومات والدراسات السابقة حول موضوع البحث وتحليلها، وكذلك المنهج التحليلي لتحليل نصوص شرعية تستخدم في هذا البحث.

وبالتالي فالإشكالية المطروحة في هذا الصدد هي: ما الدور الدلالي والوظيفي لحرف الباء في اللغة العربية مقارنة ببقية حروف المعاني؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية قمنا باقتراح الخطة الآتية، المحور الأول يتضمن ضبط المادة المعرفية لمفهوم حروف المعاني، أما المحور الثاني يندرج تحته السياق القرآني لحروف المعاني.

² الطبري، جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف، عصام فارس حرساني، ط1 مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1415هـ - 1994 ص 212.

³ سناء عبد الرحيم محمد إبراهيم، الحذف في النصف الثاني من القرآن، أطروحة دكتوراه في البلاغة، جامعة أم درمان الإسلامية، 1433هـ - 2012 م ص 114.

1. مفهوم حروف المعاني:

يتألف الكلام من ثلاثة أقسام: اسم، وفعل، وحرف، ولا يخلو من هذه الثلاثة أو من بعضها، لأنَّ المُعَبَّر عنه لا يخلو من أن يكون ذات مثل "زيد" أو حدث ذات مثل "قام" أو واسطة بين الذات وحدثها تكون لإيجاب شيء لها، نحو: "إن زيدا قام، أو نفي شيء عنها نحو: "ما" زيد قام"، أو شرطاً لها، نحو: "إن قام زيد قام عمرو".

سنتطرق في هذا المقال لتعريف الحروف وتبيان أهميتها، ثم نخرج إلى إبراز أهم الفروقات بين حروف المعاني وحروف المباني.

1.1 تعريف الحروف:

قال ابن فارس: حرف الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول: حدُّ الشيء، والعُدول، وتقدير السَّيِّء.

فأما الحدَّ فحَرْفٌ كُلُّ شيءٍ حدُّه، كالسيف وغيره... والأصل الثاني: الانحراف عن السَّيِّء، يقال انحرَفَ عنه يَنحَرِفُ انحرافاً، وحَرَفْتُهُ أنا عنه، أي عدَلْتُ به عنه، والأصل الثالث: المِحْراف، حديدة يقَدَّرُ بها الجراحات عند العلاج، ومنه يتضح بأن الاسم ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة، وله خصائص منها جواز الإسناد إليه ودخول حرف التعريف والجر والتنوين والإضافة، أما الفعل ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة، وله خصائص منها صحة دخول قد، وحرفي الاستقبال، والجوازم، ولحوق المتصل البارز من الضمائر، وتاء التأنيث الساكنة⁴.

أما الحرف وهو ما يهمننا، فهو ما دل على معنى في غيره مثل "من"، إذا كانت للتبعيض، فإنها تدل على تبعيض غيرها لا على تبعيضها نفسها، وإذا كانت لابتداء

⁴ صديق خالد الحاج، حروف الجر ووظائفها ومعانيها في الجملة العربية، مذكرة ماجستير، جامعة شنيدي،

الغاية، كانت غاية غيرها، و"إلى" تدل على منتهى غيرها لا على منتهائها نفسها، وهكذا سائر حروف المعاني.⁵

وعليه، تتنوع الحروف إلى ثلاثة أنواع، الأول حروف المباني وهي التي تتألف منها الكلمة، مثل "الباء، والكاف، والراء" في بكر، والكاف، والتاء، والباء" في كتب، وليس للحرف منها معنى مستقل في نفسه، ولا في غيره، لذا لا تدخل في علم أصول الفقه، يلحقها حرف العطف، وحروف الجر، وهي بيت القصيد وموضوع البحث، أما حروف العطف فهي الحروف التي تجمع بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم، وهي تسعة على الأصح: الواو، والفاء، وثم، وحتى، وأو، وأم، وبل، ولكن، ولا، والسته الأول تقتضي التشريك في اللفظ والمعنى، أما بل، ولكن، ولا، فتقتضي التشريك في اللفظ فقط.

وفي هذا السياق، يقصد بحروف المعاني، مجموعة من الأحرف التي تستخدم في اللغة العربية لتشير إلى بعض الدلالات اللغوية والمعاني الإضافية للكلمات التي تسبقها، وتُعرف هذه الحروف بأنها "حروف العطف"، حيث تُستخدم لربط الجمل والكلمات والأفعال والأسماء بعضها ببعض، وتشمل حروف المعاني الشائعة في اللغة العربية: و، ف، ثم، إذ، لكن، إلا، بل، حتى، على سبيل المثال.

وتعزز حروف المعاني، المعاني والمفاهيم التي يتم التعبير عنها في الجملة، وتساعد على توضيح العلاقات اللغوية والمعاني بين الكلمات، وهي التي وضعت لمعان تتميز بها عن غيرها، إلا أنها لا تدل على معنى في ذاتها، بل في غيرها، وهي كثيرة.⁶

وأما عن حروف الجر كالباء، واللام والكاف، ومن، وعن، وفي، وغير ذلك، فهي التي تفضي بمعاني الأفعال إلى الأسماء، ولها دلالة على المعنى، وتسمى حروف الجر لأنها تجر معاني الأفعال إلى الأسماء، أي توصلها إليهما، وسماها الكوفيون حروف الإضافة لأنها تضيف معاني الأفعال إلى الأسماء، في حين النوع الثالث، يشمل حروف

⁵ بعباع عثمان، مصطلح الفعل في المصنف الجزائري موازنة بكتب التراث، مجلة تنوير للدراسات الأدبية والإنسانية، الجلفة، المجلد 02، العدد 03، 2018، ص12.

⁶ الحصري سمير سعيد حسين، موقف الإمام القرطبي من القراءات الشاذة في تفسيره لسورة البقرة (جمعا وتوجها)، مجلة الدراسات العربية الإسلامية والشرعية، المجلد 8، العدد 30، 2024، ص11.

مشبهة بالفعل مثل إنَّ، وأنَّ، وكأنَّ، ولكن، ولعل، تدخل على الجملة الإسمية، فتنصب المبتدأ وترفع الخبر، وتدرس في علم النحو.⁷

2.1 أهمية حروف المعاني:

لقد عُني العلماء ببيان معاني الحروف واستعمالاتها في اللغة، فمنهم من أفرد ذلك بالتأليف كابن أم قاسم المرادي في كتابه "الجنى الداني في حروف المعاني"، ومنهم من عقد له بابا في تصنيف كابن هشام في مغنى اللبيب. إن الكلام يختلف معناه باختلاف الحرف الرابط في الجملة، مثال ذلك خرجت إلى زيد، وخرجت على زيد، وخرجت من عند زيد ونحو ذلك، فالفعل خرج، وزيد اسم في الجمل كلها، لكن اختلف المعنى باختلاف الحروف الرابطة في الجملة، بل نجد أن الحرف الواحد له أكثر من معنى، كحرف "من" فهو يأتي للابتداء، والتبعية، والسببية، ولبيان الجنس.⁸

وإذا كان الأمر كذلك، فإنه لا بد لطالب اللغة العربية والمطلع في تفسير القرآن، أن يكون مُلمّاً بهذا الباب، فقد لا يفهم المراد إلا إذا أدرك معاني الحروف وما يتعلق بها، وذلك يظهر جليا للباحث في كلام المفسرين، إذ أننا نجد في كثير من الآيات اختلاف العلماء في توجيه معناها من هذا الباب، وعلى سبيل المثال حرف "من" في قوله الله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}⁹، فإن قلنا إنها بيانية، فإن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل فرد من أفراد الأمة وجوبا عينيا، وإن قلنا إن "من" تبعية كان الوجوب على الأمة من باب فرض الكفاية وليس على كل فرد بعينه.

وبالتالي، نجد بأن حروف المعاني هي الحروف التي تحمل معنى دلاليا، وتستخدم للتعبير عن الزمان والمكان والحالة والسبب والغاية والشرط والنفي

⁷ البساطي، محمد سيد، كيفية التصدي للإساءة الموجهة للنبي، المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية، المجلد 6، العدد 19، 2022، ص9.

⁸ ربة امحمد، حروف المعاني في القرآن الكريم -معاني لعل أنموذجا-، مجلة فصل الخطاب، المجلد 11، العدد 01، 2022.

⁹ آل عمران: الآية 104، ص98.

والتوكيد والاستفهام والتحييض والتعجب والتعليل والاستئناف والاستدراك، وتكمن أهميتها في فهم النصوص الشرعية مثل القرآن والسنة، إن حروف المعاني هي الحروف التي تضاف إلى بعض الكلمات لتغيير معناها وجعلها أكثر دقة ووضوحاً، وتعرف أيضاً باسم "الحروف الزائدة"، وهي تستخدم في اللغة العربية وغيرها من اللغات¹⁰.

3.1 الفرق بين حروف المعاني وحروف المباني:

إن علماء اللغة يفرقون بين حروف المباني وحروف المعاني في الاصطلاح، فحروف المباني في اصطلاحهم هي الحروف الهجائية التي تبني منها الكلمة، وليس للحرف منها معنى مستقل في نفسه، ولا في غيره، ويطلق عليها حروف التهجّي، والظاهر أن الحرف في هذا الاصطلاح إنما سمي حرفاً لأنه طرف في الكلام وفضلة، والحرف في اللغة هو الطرف، أما حروف المعاني في الاصطلاح فهي الحروف التي تربط الأسماء بالأفعال والأسماء بالأسماء، وتدل على معنى في غيرها ويطلق عليها حروف الربط.

فإن قيل ما معنى قولهم الحرف يدل على معنى في غيره فالجواب هو أن معنى ذلك دلالة الحرف على معناه الإفرادي متوقفة على ذكر متعلّقه، بخلاف الاسم والفعل، فإن دلالة كل منهما على معناه الإفرادي غير متوقفة على ذكر متعلّق، ألا ترى أنك إذا قلت: الغلام فهم منه التعريف، ولو قلت: أل مفردة لم يفهم منه معنى، فإذا قرّنت بالاسم أفاد التعريف، وكذلك باء الجر فإنها لا تدل على الإلصاق، حتى تضاف إلى الاسم الذي بعدها، لأنه يتحصل منها مفردة، وكذلك القول في سائر الحروف، "كحروف الجر، والاستفهام، والشرط، وغيره، وتقبيدها بالمعاني ليُخرج حروف المباني التي تبني منها الكلمة، وهي حروف الهجاء فالهمزة في كلمة "أحمد من حروف المباني"، لأنها من بنية الكلمة، بينما الهمزة في "أذهب زيد؟"، فهي حرف دال على معنى الاستفهام فتكون من حروف المعاني.

¹⁰ عادل حسن طه، معاني حروف الجر وشواهد المجزورات في كتاب "فتح الفواعل"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة الخرطوم، السودان، 2004، ص 87.

وبالتالي يظهر الفرق بين حروف المعاني وحروف المباني جليا في النقاط التالية:

- حروف المباني هي حروف التهجّي، ومنه تبنى الكلمة، فهي أبعاد الكلمة، أما حروف المعاني فهي من أنواع الكلم¹¹.
- حروف المباني لا تزيد على حرف واحد، بينما حروف المعاني منها ما هو على حرف واحد كهمزة الاستفهام ومنه ما هو على حرفين مثل إن الشرطية، ومنها ما هو على ثلاثة أحرف، كحرف الجر، إلى.
- حروف المعاني يتبين معناها بغيرها، ولذلك يقال حرف جاء لمعنى، بينما حروف المعاني ليست كذلك.
- عدد حروف المباني ثمانية وعشرون حرفا، أما حروف المعاني فنحو خمسين حرفا.

2. السياق القرآني لحروف المعاني:

يشير السياق القرآني لحروف المعاني إلى الدور الذي تحتويه حروف المعاني في فهم النص القرآني، حيث تساعد في تحديد المعنى الدلالي للكلمات والجمل والآيات في القرآن الكريم، وتعدّ حروف المعاني من العناصر الأساسية في فهم النص القرآني، حيث تساعد في تحديد الزمان والمكان والحالة والسبب والغاية والشرط والنفي والتوكيد والاستفهام والتحضيض والتعجب والتعليل والاستثناء والاستدراك، وعليه سنتناول في هذا المحور حرف الباء أنموذجا على آية الطهارة، وما ينجم عنه من اختلاف في الدلالة بين الفقهاء.

1.2 تعريف حرف الجر "الباء":

يفيد حرف الباء لغة معنى الملاصقة والالتصاق كقولهم "بواء" للملتصق بالشيء، وهو من الحروف الشفوية التي تنطق بانطباق الشفتين، أما اصطلاحا فهو حرف جر

¹¹ ربة امحمد، المرجع السابق.

مختص بالأسماء، يغير إعراب ما بعده إلى الجرّ، ويضفي على الجملة معاني سياقية متنوعة تتراوح بين الحقيقة والمجاز، وفقا لقرائن النص.¹²

وتتجلى أهمية استخدام حرف الجر "الباء" في القرآن الكريم في الكشف عن آليات تشكيل المعاني الشرعية وضبط الاستنباط، وهو ما يجعلها تحظى بأهمية كبيرة في الجوانب الآتية :

- الكشف عن الإعجاز البياني للقرآن، وإيجاز اللفظ مع سعة الدلالة، حيث لحرف الباء قدرة على حمل معان متعددة كالسببية والمصاحبة والاستعانة في حرف واحد يتجلى في الآيات.
- ضبط الفهم التفسيري والفقهي من خلال تحديد العلاقات بين الأحداث، فالباء السببية تفسر ارتباط الأحكام بأسبابها، كقوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾¹³.
- حلّ الاختلافات الفقهية كما جاء في آية الوضوء: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾¹⁴، ويتجلى الخلاف في "الباء" بين التبعض في مسح جزء من الرأس أو الملاصقة والمسح الكامل، وهو ما أثر في فتاوى المذاهب، في آية الدّين: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عِلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾¹⁵، وقراءة ابن مسعود "إن علمتم بهم خيرا".
- بيان خصائص النص القرآني، حيث تفرد القرآن في توظيف الباء مثل مجيئها بمعنى "مع" في قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ

¹² بن عمار عيسى، دلالة حذف حروف المعاني في القرآن الكريم- حروف الجر أنموذجا-، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، المجلد 34، العدد 02، 2020. ص9.

¹³ المائدة: الآية 6.

¹⁴ المائدة: الآية 6.

¹⁵ النور: الآية 33.

كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ¹⁶، وهنا الباء للمصاحبة بمعنى إحسانهم ملازم لهم في الدنيا والآخرة.

- الدقة في التعبير عن الزمان والمكان كقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾¹⁷، وهنا الباء وردت بمعنى الاستعلاء، أي تحويل النبات إلى هشيم مُتداعٍ.

- منع التحريف في الفهم كشف المعاني المجازية كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا صَلْبَبَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾¹⁸، حيث تضمن حرف "في" معنى الباء الاستعلائية.

- التمييز بين العام والخاص قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾¹⁹، وهنا الباء وردت للاستعانة، وتحريم تعريض النفس للهلاك بأفعالهم.

- إثراء الدراسات اللغوية الحديثة، نموذج لمرونة العربية: تعدد دلالات الباء في القرآن.

- توظيف الإحصاء اللغوي، وذلك لأن دراسة تكرار معاني الباء كالسببية، والاستعانة يظهر أنماط البيان القرآني.

2.2 حرف الباء أنموذجا في آية الطهارة:

جاء في الآية الكريمة من سورة المائدة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ

¹⁶ الذاريات: الآية 15.

¹⁷ الأعلى: الآية 15.

¹⁸ طه: الآية 71.

¹⁹ البقرة: الآية 195.

إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (6) ومنه فالتحليل اللغوي والنحوي لحرف الباء يتعدد بحسب موضعه، ومعناه أن حرف الباء في "بِرُّؤُسِكُمْ" يفيد الإلصاق، أي: أَلْصِقُوا الْمَسْحَ بِرُّؤُسِكُمْ، فالباء تدخل على الممسوح؛ لأن المسح يقع على الرأس مباشرة، كما يفيد حرف الباء التَّبْعِيضُ في بعض السياقات، وقد يحتملها هنا.

أما دلالة حرف الباء في "بِرُّؤُسِكُمْ" للاستعانة، أي: امسحوا بالصعيد وجوهكم، بمعنى أنها تعدّ بمثابة آلة، فالمسح حاصل بالصعيد لا باليد مباشرة.

وبخصوص أقوال المفسرين عن حرف الباء في "بِرُّؤُسِكُمْ" نجد الطبري رأى بأن الباء للملابسة، أي: مَسَحَ يَلْتَصِقُ بالرأس، ولا دلالة فيها على التبعض، أما عن الزمخشري في "الكشاف" فرأى بأنه لو أُريد التبعض لَقِيلَ: مَسَحَ رُؤُسَكُمْ، فالباء تفيد الملاصقة فقط، وعن قول ابن عطية في ذلك²⁰، هو أن الخلاف في الباء بين التبعض والملاصقة هو أصل اختلاف الفقهاء في مقدار مسح الرأس.

هذا وقد قال القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن²¹، إن الباء للاستعانة، أي امسحوا وجوهكم بالصعيد، فالمفعول هنا هو الصعيد، وقال الرازي في كتابه مفاتيح الغيب إن الفرق بين الغسل في الوضوء والمسح في التيمم هو أن الباء في التيمم تدل على انتقال الأثر من الصعيد إلى الوجه²².

²⁰ المفصل في صنعة الإعراب، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993م، ص212.

²¹ أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964، ص256.

²² فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ص312.

ومنه، يتجلى الأثر الفقهي من أقوال العلماء اتجاه دلالة "بِرُّؤُسِكُمْ" على مقدار المسح:

بالنسبة للمذهب الحنفي، الباء للتبويض والدليل قول أبي حنيفة "الباء تقتضي بعض الممسوح".

أما عن المذهب المالكي والشافعي، فالباء للملاصقة، يجب مسح جميع الرأس، والدليل لو أُريد التبويض لذكر صريحا.

والمذهب الحنبلي يجزئ مسح أكثر الرأس، ودليلهم هو الجمع بين دلالة الباء على الملاصقة والعموم في "رؤوسكم..".

أما عن دلالة الباء "بِؤُجُوهِكُمْ" في التيمم، فالإجماع كان هو أن الباء ترد بمعنى الاستعانة، أي ضرب اليدين على الصعيد ثم مسح الوجه به، حيث أجمعوا أن التيمم مسح الوجه واليدين بالصعيد، وهكذا فالخلاف كان حول كيفية المسح، وهنا الحنفية يرون بأنه دلالة عن مسح الوجه باليد المَحْمَلَة بالتراب، أما الشافعية فرأوا بضرب يديه على الأرض ثم ينفخ فيهما ثم يمسح.²³

وخلاصة القول هي أن حرف الباء في آية الطهارة نموذجٌ حيٌّ على :

- مرونة اللغة العربية في حمل الدلالات.
- تأثير النحو في الاجتهاد الفقهي.
- سعة الشريعة حيث لم يَنْقُضْ إجماع أحد القولين .

²³ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط3، 1419 هـ، ص258.

3.2 حرف الباء في آية الطهارة تحليل تداولي بين الفقه واللغة والحديث:

تمثل آية الوضوء والتيمم مختبرا دلاليا لفهم أثر حرف الباء في تشكيل الأحكام، حيث ورد الحرف في موضعين ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ آية الوضوء، وفي آية التيمم ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾، ومنه يتضح بأن حرف الباء تستدعي التطرق إلى تحليل النحاة ومدارسهم، ثم مناقشة الفقهاء والمذاهب، وكذا التعرف على رأي المحدثين في فهم الآية²⁴.

أولا: تحليل النحاة ومدارسهم

تنوعت آراء النحاة ومدارسهم حول دلالة حرف الباء في هذين الموضعين، ووفقا للمدارس اللغوية التي ينتمون، فبالنسبة لمدرسة البصرة، يرى سيبويه أن الباء في ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ تحمل معنى الإلصاق الحقيقي، أي إمرار اليد المبللة على الرأس في الوضوء، بينما يذهب المبرد إلى أن الباء في ﴿بِوُجُوهِكُمْ﴾²⁵ تفيد الاستعانة، لأن المسح في التيمم يكون بالصعيد أي التراب لا باليد مباشرة.

أما مدرسة الكوفة، فيرى الفراء أن الباء في الموضعين تدل على الملابس، لكنها في مسح الرأس قد تحتل التبعيض، أي مسح بعض الرأس وليس كله، ويؤيد الكسائي هذا الرأي، حيث تفيد الباء التبعيض.

وبخصوص المدرسة التفسيرية والبلاغية، يوضح الزمخشري أن حرف الباء في ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ له دور بلاغي، حيث لو حذف لتساوى معنى المسح والغسل، فجاءت الباء لتمييز المسح عن الغسل، أما ابن عاشور فيرى أن الباء في التيمم ﴿بِوُجُوهِكُمْ﴾ تدل على الإلصاق المجازي، لأن المسح هنا يكون بأثر الصعيد لا باليد مباشرة.

وعليه، يُظهر هذا الاختلاف في تفسير حرف الباء كيف أن السياق يلعب دورا رئيسيا في تحديد المعنى، ففي آية الوضوء الباء تدل على المسح الفعلي باليد (إلصاق

²⁴ المائدة، الآية 06.

²⁵ النساء، الآية 43.

حقيقي)، أما في آية التيمم، فالباء تدل على المسح المجازي بالصعيد أي استعانة أو الإصاق مجازي، كما أن هذا الاختلاف في التفسير اللغوي انعكس على الاجتهاد الفقهي، حيث اختلف الفقهاء في مقدار المسح الواجب على الرأس في الوضوء، فمنهم من يرى أن الباء للتبويض، يقول بمسح جزء من الرأس، ومنهم من يرى أنها للإصاق ويرى وجوب مسح جميع الرأس.

وهو ما يقود إلى القول في النهاية بأن حرف الباء ليس مجرد أداة نحوية، بل له بعد دلالي عميق يؤثر في استنباط الأحكام الشرعية، كما أن دراسة هذا الحرف في آية الطهارة تكشف عن التفاعل بين اللغة والفقه، حيث تؤثر التفسيرات اللغوية في الاجتهادات الفقهية، مما يجعل حرف الباء نموذجا حيا لدراسة التكامل بين العلوم الإسلامية.

ثانيا: مناقشة الفقهاء والمذاهب

تمثل آية الوضوء والتيمم نموذجا فريدا لدراسة التفاعل بين اللغة والفقه، حيث يظهر حرف الباء في موضعين مختلفين دلاليا وشرعيا، وقد اختلف الفقهاء في تفسير دلالة هذا الحرف بناء على المدارس اللغوية والاستدلالات الحديثية.

وبخصوص مسألة مسح الرأس (رُءُوسُكُمْ)، تباينت آراء المذاهب الفقهية، بين مذهب الحنفية الذي استدل على أن الباء تستخدم للتبويض، مستدلين بأن النص لو أراد العموم لقال "امسحوا رؤوسكم"، بينما رأى الشافعية أن الباء للملاصقة لا التبويض، مستندين إلى حديث مسح النبي ﷺ كامل رأسه²⁶، وقال النووي اللفظ لا يحمل على التبويض، وأوجب المالكية مسح جميع الرأس، قياسا على

²⁶ رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: الترغيب في غسل الجمعة، حديث رقم 857. ص 147.

الغسل²⁷، أما الحنابلة فجمعوا بين ظاهر الآية وفعل النبي ﷺ، فأجزأوا مسح بعض²⁸.

أما في مسألة التيمم (وُجُوهُكُمْ) فقد اتفق الفقهاء على أن الباء للاستعانة بالصعيد، لكنهم اختلفوا في الكيفية، فرأى الحنفية أن الضرب باليدين على الصعيد يكفي دون نقل التراب، بينما أوجب الشافعية نقل التراب إلى الوجه، مستدلين بحديث عمار بن ياسر: "وضع يديه على الأرض ثم مسح وجهه"²⁹.

وبالتالي تكشف هذه الاختلافات عن عمق العلاقة بين اللغة والفقه، حيث تؤثر الدلالات اللغوية لأحرف المعاني في الاستنباط الفقهي، كما تبرز أهمية الجمع بين النص القرآني والحديث النبوي في فهم الأحكام الشرعية، مما يجعل حرف الباء نموذجاً حياً للتفاعل بين المستويات اللغوية والتشريعية.

ثالثاً: رأي المحدثين في فهم الآية

يكشف موقف المحدثين من آية الوضوء عن منهج مميز في الجمع بين النص القرآني والحديث النبوي، فقد رأى ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري" أن أحاديث وصف وضوء النبي ﷺ - التي تذكر مسح الرأس كاملاً - تبين أن الباء في "بِرْءُكُمْ" للملاصقة لا التبعية، وأيد هذا الرأي ابن تيمية في "شرح العمدة" بالقول: "لو كانت الباء للتبعية لَنُقِلَ عن النبي ﷺ تحديد مقدار المسح، والسكوت يدل على العموم"، ويؤكد حديث عبد الله بن زيد في الصحيحين هذه الرؤية، حيث جاء الفعل "يُمسح"

²⁷ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1376 هـ، 1957 م، ص 357.

²⁸ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (541 - 620 هـ)، المغني لابن قدامة، تحقيق: طه الزيني ومحمود عبد الوهاب فايد وعبد القادر عطا (ت 1403 هـ) ومحمود غانم غيث، ط 1، القاهرة، مصر، 1069 ص 258.

²⁹ البخاري عبد الكبير غزالي، الأحاديث والآثار المعللة الواردة في كتاب "التلويح إلى شرح الجامع الصحيح" للحافظ علاء الدين مُغلطاي بن قَلِيح، المجلد 4، العدد 12، 2020، ص 247.

مطلقا دون تقييد بالباء، مما يرجح أن الباء هنا للملاصقة لا التبعية، وهذا التحليل يقودنا إلى نتائج مفادها أن حرف الباء لغويا في "بِرُّؤُسِكُمْ" تؤكد معنى الإلصاق، لكن اتساع اللغة العربية وسعة الشريعة جعلتا الخلاف الفقهي في مقدار المسح خلافا سائغا، أما حرف الباء بلاغيا يظهر الفرق جليا عند مقارنة "بِرُّؤُسِكُمْ" مع "وَأَرْجُلُكُمْ"، حيث يؤكد حذف الباء مع الأرجل أن الأصل فيها الغسل لا المسح، وقد لخص القرطبي هذا الجدل بقوله: "الباء في الرأس للملاصقة، لكن مسح بعض الرأس يجزئ؛ لأن النبي ﷺ فعله"، بينما رأى ابن القيم في "إعلام الموقعين" أن هذا الاختلاف من مظاهر اتساع اللغة، مؤكدا أن "لو شاء الله بيان القدر لبينه".

وعليه تُظهر آية الطهارة كيف أن حرفا صغيرا كالباء يمكن أن يكون مفتاحا لفهم عميق يجمع بين دقة اللغة ومرونة الفقه، هذا النموذج يؤكد أن النص القرآني يحتمل أوجها متعددة من الفهم تثري الاجتهاد ولا تُنقضه، مما يجعل من حرف الباء نموذجا فريداً للتفاعل بين اللغة والتشريع، كما تكشف آية الطهارة أن حرف الباء رغم صغره جمع بين دقة اللغة ومرونة الفقه، وهو نموذج دال على أن النص القرآني يحتمل أوجها من الفهم تثري الاجتهاد ولا تُنقضه.

الخاتمة:

أقل ما يقال في هذه الدراسة التكاملية عن الدور المحوري لحرف الباء في النظام اللغوي والشرعي، أن تأثير حرف الباء يتجلى عبر مستويات متعددة صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية، وبلاغية وفقهية، ويمتلك الباء هوية صوتية مميزة كحرف شفوي انفجاري مجهور، ويؤدي وظائف صرفية ونحوية متعددة في تغيير إعراب الأسماء، كما يكشف التحليل البلاغي عن قدرة الباء الفائقة على تحقيق الإيجاز والدقة في التعبير، ومن أهم النتائج المتوصل إليها نذكر:

- يتميز الباء بهوية صوتية صرفية ثابتة مع مرونة دلالية تتيح له أداء وظائف متعددة في السياقات المختلفة.

- تظهر الاختلافات بين المدارس النحوية في تفسير دلالات الباء، مما ينعكس على الاجتهادات الفقهية.
 - يلعب السياق التداولي دورا حاسما في تحديد المعنى الدقيق للباء، وبخاصة في النصوص الشرعية مثل آية الطهارة.
 - يحقق الباء إعجازا بلاغيا في القرآن الكريم من خلال الإيجاز والدقة والتجسيد الحسي للمعاني.
 - تظهر المقاربات الحديثة محدوديتها في فهم الباء عندما تتجاهل الثوابت الدلالية التي أرساها النحاة القدماء.
- وأما عن أهم التوصيات المقترحة في هذا الصدد:
- إجراء دراسات إحصائية شاملة لتوزيع دلالات الباء في النصوص القرآنية والحديثية.
 - تطوير مناهج تكاملية تربط بين التحليل اللغوي التقليدي والمناهج التداولية الحديثة.
 - إعداد معجم سياقي خاص بحروف المعاني يوضح تطور دلالاتها عبر العصور.
 - تعزيز الدراسات المقارنة للباء مع نظائره في اللغات السامية الأخرى لفهم الخصائص المشتركة والتفردات.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

-الكتب:

- 1- أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 2، 1964.
 - 2- محمد عبد الخالق عضيمة (ت 1404 هـ)، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، مصر، 2019.
 - 3- الطبري، جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف، عصام فارس حرستاني، ط1 مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1415هـ- 1994م.
 - 4- المفصل في صنعة الإعراب، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993م.
 - 5- مفاتيح الغيب، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
 - 6- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: عبد اللطيف الخطيب، مطبوعات التراث العربي، الكويت، ط1، 1420هـ، 2000م.
 - 7- أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط3، 1419هـ.
 - 8- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1376 هـ، 1957 م.
 - 9- أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (541 - 620 هـ)، المغني لابن قدامة، تحقيق: طه الزيني ومحمود عبد الوهاب فايد وعبد القادر عطا ومحمود غانم غيث، ط 1، القاهرة، مصر، 1069.
- المجلات:

- 10- بعباع عثمان، مصطلح الفعل في المصنف الجزائري موازنة بكتب التراث، مجلة تنوير للدراسات الأدبية والإنسانية، الجلفة، المجلد 02، العدد 03، 2018.
- 11- الحصري سمير سعيد حسين، موقف الإمام القرطبي من القراءات الشاذة في تفسيره لسورة البقرة (جمعا وتوجيها)، مجلة الدراسات العربية الإسلامية والشرعية، المجلد 8، العدد 30، 2024.
- 12- البساطي، محمد سيد، كيفية التصدي للإساءة الموجهة للنبي، المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية، المجلد 6، العدد 19، 2022.
- 13- ربة امحمد، حروف المعاني في القرآن الكريم -معاني لعل أنموذجا-، مجلة فصل الخطاب، المجلد 11، العدد 01، 2022.
- 14- بن عمار عيسى، دلالة حذف حروف المعاني في القرآن الكريم- حروف الجر أنموذجا-، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة- الجزائر، المجلد 34، العدد 02، 2020.
- الأنطروحات:
- 15- سناء عبد الرحيم محمد إبراهيم، الحذف في النصف الثاني من القرآن، أطروحة دكتوراه في البلاغة، جامعة أم درمان الإسلامية، 1433هـ - 2012م.
- 16- صديق خالد الحاج، حروف الجر ووظائفها ومعانيها في الجملة العربية، مذكرة ماجستير، جامعة شنيدي، 2017.
- 17- عادل حسن طه، معاني حروف الجر وشواهد المجزورات في كتاب "فتح الفواعل"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة الخرطوم - السودان، سنة 2004.
- 18- البخاري عبد الكبير غزالي، الأحاديث والآثار المعلة الواردة في كتاب "التلويح إلى شرح الجامع الصحيح" للحافظ علاء الدين مغلطاي بن قليج، المجلد 4، العدد 12، 2020.

